

على ضريح من احب

في منتصف الليل غمرني الظلام الحالك السواد
 وكانت الطبيعة نائمة في احضان الهدوء والكون ولم يكن في لوحة الكون
 الواسع سوى نجوم صغيرة بعيدة تتألق كأنها رؤوس مسامير لماعة دُقت في صدر
 السماء لكي لا تهبط على الارض
 تقدمت بخطوات مرتجفة تحركها روح تميت من الضياء والنور وركعت بجانب
 رم التراب الكثيفة المحيطة بضريح من احب
 لم اتجاسر ان ارفع عيني الى فوق لاني شعرت ان الارواح البشرية المائتة
 الغضاء تستهزئ بي قائلة
 « تراب يماثق التراب »



سكنت دموعي على ذلك الحجر البارد القاسي المنصوب على القبر رمزاً الى
 الموت. الصقت اذني بالارض فشمرت بتموجات روح داخل القبر وسمعت خفقان
 قلب يلبض فهتزت له دقائق التراب المنطرح عليه ابكي
 احدثت بينين مثلتين بالدموع فتخيلت اني ارى داخل القبر عينين ضاحكتين
 وشفيتين يترمشان ولا تتكلمان وقد اندل على ذلك الجسم اللطيف الذي احببته بالامس
 شعر نام طويل كأنه كفن اسود يكفن كل ما عرفت في هذا العالم من نقله وطهارة
 تخيلت ذلك الجسم الذي كان لدي اعز ما املك وقد اخذ الانحلال الطبيعي
 مفعوله منه فلم اتمالك ان بكيت صائحاً من اعماق قلبي
 « الطبيعة استنشقت روح من احب بقية والقبر انزع كل جماله بليلة واحدة »



انا لا اخاف الموت ولكني اخاف القبر !
 الموت ضجعة الابدية اللذيذة التي اتسم لها واحلم بها
 اما القبر مظلمة باردة لا اتجاسر ان افكر فيها
 الموت ارواح تماثق الارواح !

اما القبر فتراب يعانق التراب !



انا لم افهم ما هو الموت قبل ان مدينته الى من احب
حيب مات في زهرة العرف فلم يمض الى الموت مثقلاً بالسنين لكن الموت
جاء اليه باكراً جداً

لعوه اليّ فشمعت في تلك اللحظة اني ازددت عشر سنوات دفعة واحدة
ونظرت اليه فاذا به قد ازداد جمالاً كأن جمال الحياة لا يكمل الا بالموت

لم ابك على من احب حين مات بل بكيت عليه حين رأيتهم يتلون في قبر مظلم
سيق لاني بالحب وددت ان ارفعه الى السماء فناء الموت بالرغم مني وانزله الى القبر
فاذا جئت احاطته شمعت بانني « تراب يعانق التراب »



لماذا يطمع الله فينا ونحن اضعف مخلوقاته ؟

انه يلبنا الذين نجهم واحداً بعد آخر ولا يترك لنا من آمال الحياة سوى
الامل الوحيد وهو ان نرفع أمتنا اليه ونصلي له ونعزي بحبه

لكن لا — ان لنا في تذكارات الماضي يارب ما لا يبدله بكل نعيم
المتقبل ووجوده

هذه التذكارات التي تدفء برودة ارواحنا هي كل ما نحب ونملك

بالتفكار العزى وبالتفكار يعنى من احب في قلبي

حينما كان على الارض كنت معه يا ابي فكانت تذكاراته جزءاً منك
والآن هو معك وقد ارتفع الى فوق فاصح طاهراً شفافاً . والحياة كامواج البحر

لا يظهر جمالها الا اذا ارتفعت الى فوق



الشمس فابت واشرفت في الصباح

والنجوم اختفت ثم لمعت في المساء

الازهار التي ماتت في الشتاء عاشت في الربيع

اما الذي احبه فقد مضى ولن يعود

لقد مات قلن اراه
ولم يترك لي سوى ضريح مظلم ارتقي عليه من الصباح الى الماء متأماً بايكنا
تأثماً فاسمع الارواح تستهزيء في قائمة
« تراب يهائى التراب »



الى ذلك الضريح ذهبت اعود من احب
وقفت على باب تلك المنارة المظلمة المفتوحة كبح عميق في صدر الارض
وناديت من حشاشة الروح « يا قبر! — اريد حبيبي ارجع الي من احب »

واذا بالقبور يجيبني بانه عميقة كلها خارجة من غاب كثيف
« لقد تميت منكم ايها الناس كما تعيمت مني
« انا خادم الطبيعة انا معمل تخريبها العظيم
« انا استلمت من تعب يا فتي فتمت بالعمل الذي وجدت لاجله
« اخذت اللعان من عينيه وارجمته الى النجوم اللامعة البعيدة
« قطفت الابتسامة عن شفاهه وارجمتها الى افواه الاطفال
« استخرجت الحرارة من قلبه ورفعته الى الشمس المشرقة الداكنة
« امتصصت نضارة الحياة من وجنتيه وسكبتها في قلب الطهارة الخالدة
« شعره الناعم الطويل وضعت على اكتاف الليل الراكض مسرعاً الى الابدية
« لون وجهه الشاحب مسحت به وجه القمر
« حديثه المذب وضعت في افواه المصافير التي تنرد كل صباح
« اخلافة الرضية وصفاته الطيبة ووزعتها على محبيه لتبقى بينهم تذكراً
ابدياً لا ينسى

« وهذه الحفنة الصغيرة من التراب التي كانت فيما مضى جسد من تعب هي
الآن وديعة عندي لانها نصيب امان الارض وسأرجعها بأمانة اليها متى
اكلت تحليلها الاخير

« اما نساء — نفس من تعب يا فتي — فقد ارجعتها الى الله فاذهب اليه واسأل عنها »



وبقلب مكسور اليرت برأسي راجعاً من جانب القبر افتش عن احب
سألت علماء اللاهوت — اين هو الله؟ فاجابوا « في كل مكان »
وسألت علماء الطبيعة — فقالوا « ليس في مكان »
وسألت فريقاً آخر — فاجاب « لا ندري »
لذلك سأفتش على حبيبي الى ان اجدهُ

ومستظل حياتي معلقة فوق رأسي كستف بيت متداعٍ للخراب الى ان امشي
وراء من احب « روعي — حياتي — اختي » توفيق مفرج

مدام كوري والراديوم

ان زيارة مدام كوري مكتشفة الراديوم لاميركا وامدء الاميركين اليها
غراماً من هذا النصر وثمنه حسب سعره الآن ١٢٠٠٠٠ ريال اميركي حوالي
الانظار اليه واليها

فقد اكتشفته هي وزوجها في اواخر سنة ١٨٩٨ كما ذكرنا في مقتطف فبراير
سنة ١٨٩٩ حيث قلنا « قال الميو كوري وزوجته انهما اكتشفا مادة ظناها
عنصرأ جديداً واطلقا عليها اسم الراديوم اي المشعة لانها تعج النور على اسلوب
لا مثل له » الى آخر ما ذكرناه هنالك

والميو كوري من اهالي باريس ولد سنة ١٨٥٩ وابوه طبيب وقد ورت
منه الميل العلمي واشتغل بالعلوم الطبيعية وعمره عشرون سنة وجعل استاذاً لها
سنة ١٨٩٥ والتي حينئذ بالفتاة التي صارت شريكة له في حياته واشغاله وهي
بولندية الاصل واسمها ماري سكودوسكا ولدت في مدينة ورسو سنة ١٨٦٨ من
بيت علم وفضل فان اباه كان استاذاً مشهوراً بالتاريخ الطبيعي وامها رئيسة لمدرسة
طالبة من مدارس البنات ولها اخت درست الطب واقترنت بطبيب وانثأ مصحاً
لمعالجة المرضى والناقين. وهي اي مدام كوري آتمت دروسها وعمرها ست عشرة
سنة واعطيت وساماً ذهبياً لامتيازها على غيرها واشتغلت في معرض الطبيعات
ثم اتت باريس سنة ١٨٩١ ودرست سنتين فاجيز لها في العلوم الرياضية ثم درست